

تأليف
أبي الحارث خالد بن رمضان بن حسن

الناشر
مكتبة التربية الإسلامية
لإحياء التراث الإسلامي
ت : ٨٦٨٦٠٥ - الهرم

الطبعة الأولى للكتاب
١٤١١ هـ - ١٩٩١ م

الناشر
مكتبة التربية الإسلامية لإحياء التراث الإسلامي

١٤ ش سويلم من ش الهرم خلف مسجد الأنصار - الطالبية ت : ٥٠٦٨٦٨

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله سبحانه وتعالى :

﴿ ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات ، وبشر الصابرين ، الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون ، أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة ، وأولئك هم المهتدون ﴾ (البقرة ١٥٥ - ١٥٧) .

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

« إن عِظَم الجزاء مع عِظَم البلاء ، وإن الله تعالى إذا أحب قومًا ابتلاهم ، فمن رَضِيَ فله الرِّضا ، ومن سخط فله السُّخط » .

(حديث حسن رواه الترمذي والبيهقي عن أنس رضي الله عنه).

وقال شاعر الزهد بالأندلس « أبو عمران المرتلّى » المتوفى سنة ٦٠٤ هـ .

شكوت دائي إلى طبيبي	فقال إني به عليم
أدواء أدوائك المعاصي	فأنت من أجلها سقيم
وبالمتاب الشفاء منها	إني بمن تاب لي رحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ، ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فهو المهتد ، ومن يضلل فما له من هاد .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلوات ربي وتسليماته عليه وعلى آله وصحبه وسلم   وبعد :

مما يقوي عزائم المؤمن معرفته لمكمن الخطر فيأتي عليه من جذوره ولا يتأتى ذلك للمؤمن إلا بقدر علاقته بربه ، والإنسان في حياته مُعَرَّضٌ للبلوى ولا مفر ، فيقابلها المؤمن بالصبر وعدم الجزع ، عالمًا بأن ذلك مُصيبه ولا محالة فيصبر ويعافى وهو مأجور ولسان حاله يقول :

تعـودت مس الضـر حتـى ألفتــه
وأسلمني حُسنُ العزاء إلى الصـبر

وصـيرني يأسي من الناس راجـيًا
بحسن صنيع الله من حيث لا أدري

ووسَّـع صدري للأذى كثرة الأذى
وقد كنت أحيانًا يضيق به صدري

وعندما ينظر إليه الآخرون والحالة هذه ، فيلْقنون الدرس الدقيق المكثف في كيفية معاملة الإنسان لربه ، فيكون لهم بذلك خير معين ، ذلكم هو إتيانه على الخطر من القواعد .

ولقد كان من البراهين الساطعة أمام المشركين في مواقف كثيرة من حياة النبي ﷺ وأصحابه ، خروجهم من مواطن الابتلاء ببراعة الإيمان وقوة اليقين أشد ما يكون عليه الممكن في الأرض ، وكأنهم نُقوا بالثلج والبرد فصاروا هداة مهديين ، وكيف لا وهم الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه .

وهذه الرسالة التي جمعها الأخ خالد هي على الدرب لعلها في زماننا تثلج قلوب قوم مؤمنين ، وتذكر الغافلين وتُعزي المصابين المبتلين ، وقد زدت عليها بعض المواضع التي رأيتها مناسبة في مقامها مميزًا لها بمعكوفتين في المتن ، وعسى أن يكون في هذه الرسالة ما نسعى إليه من النفع الذي نرجوه في الدنيا والآخرة .

والله نسأل أن يتقبل منا جميعًا صالح أعمالنا .

عماد صابر المرسي

أول جمادى الآخرة ١٤١١هـ

المقدمة

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً مزيداً .

أما بعد :

فهذه رسالة متواضعة ، تسلية للمبتلى ، وتعزية للمصاب ، ضمنتها تعريف البلاء وفضله .

والصبر على البلاء ، وأسبابه ، وفضله ، مع بيان أهل البلاء . وكيف كان صبرهم على البلاء .

والله تعالى أسأل القبول والنفع . إنه سميع مجيب .

الفقير إلى الله تعالى :

أبو الحارث خالد بن رمضان بن حسن .

مصر ـ بني سويف

تعريف البلاء

لغة :

جاء في مختار الصحاح :

البلية و (البلوى) و (البلاء) : واحد ، والجمع (البلايا) ، و(بلاه) جربه واختبره ، وبابه عدا ، وبلاه الله : اختبره .

يبلوه (بلاء) بالمدّ وهو يكون بالخير والشر .

و(أبلاه إبلاء) حسنًا ، و(ابتلاه) أيضًا [1] .

وقال القرطبى رحمه الله تعالى :

قال أبو الهيثم : ـ

البلاء يكون حسنًا ، ويكون سيئًا ، وأصله المحنة ، والله عز وجل يبلو عبده بالصنع الجميل ليمتحن شكره ، ويبلوه بالبلوى التي يكرهها ليمتحن صبره ، فقيل للحُسْنِ بلاء ، وللسيئ بلاء . حكاه الهروى [2] .

(١) « مختار الصحاح » باب الباء ، مادة ب ل ا .

(٢) « الجامع لأحكام القرآن » القرطبي ، الجزء الأول ، ص ٣٨٧ ، دار الكتاب العربي .

تعريف البلاء شرعا ولم يكون ؟

هو ما يحلُّ بالمرء من مرض ، أو محنة ، أو عاهة ، أو هَمٌ ، أو غمٌ ، أو نِقْمة .

ويكون البلاء للمؤمن مِنْحةً ، وذلك إما بالنعمة لامتحان شكره وإما بالنقمة لامتحان صبره .

وله في هذا وذاك ـ الشكر على النعمة ، والصبر على النقمة ـ الخيرُ كل الخير ، عن أبي يحيى صُهيب بن سنان رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ـ

« عَجبًا لأمر المؤمن ، إنَّ أمره كله له خير ، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن : ـ إن أصابته سرَّاءُ شكر فكان خيرًا له ، وإن أصابته ضرَّاء صبر فكان خيرًا له » مسلم .

{ ويكون البلاء بمثابة التأديب والتدريب من الله تعالى للعباد فمنها ما يكون لرفع الدرجات كما قال الله تعالى ﴿ وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون ﴾ (السجدة/٢٤).

فبين تعالى أنه بالصبر واليقين حصلوا على الإمامة في الدين ومن هذا القبيل ابتلاء الله عز وجل للأنبياء فالأمثل كل ذلك لرفع درجاتهم (١) .

ومنها ما يكون لتكفير السيئات فيطهر المؤمن بالبلاء في جسده ورد ذلك في أحاديث كثيرة نختار منها .

قول النبي ﷺ : « إذا ابتلى الله العبد المسلم ببلاء في جسده ، قال الله عز وجل اكتب له صالح عمله ، فإن شفاه غسله وطهّره ، وإن قبضه غفر له ورحمه » (٢) .

بل ويخرج من خطاياه كما ولدته أمه وقد قال الله تعالى في حديثه القدسي :

« إذا ابتليت عبداً من عبادي مؤمناً فحمدني وصبر على ما بليته ، فإنه يقوم من مضجعه ذلك كيوم ولدته أمه من الخطايا ، ويقول الرب عز وجل للحفظة : إني أنا قيدت عبدي هذا ، وابتليته ، فأجروا له ما كنتم تُجرون له قبل ذلك من الأجر وهو

---

(١) المعاصي وآثارها على الفرد والمجتمع (ص ١٢٠) .... الناشر .
(٢) رواه أحمد في مسنده وهو حسن (ص . ح رقم ٢٥٨) .

صحيح »[1] .

لكن ذلك مشروط بألا يُكثر العبد الشكوى إلى زائريه فقد قال الله تعالى في حديثه القدسي « إذا ابتليت عبدي المؤمن فلم يشكني إلى عوّاده أطلقته من إساري ، ثم أبدلته لحمًا خيرًا من لحمه ، ودمًا خيرًا من دمه ، ثم يستأنف العمل »[2] .

ومن الابتلاء ما يكون عقابًا للإنسان على ظلمه ، وجوره وعصيانه لربه وخالقه وهذه المنزلة الأخيرة يشترك فيها المسلم ليختبر صدقه بتوبته وإنابته والكافر فإنها له محنة وعذاب ، وشتان بين الأمرين قال تعالى : ﴿ ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون ﴾ (السجدة : ٢١) } .

---

(١) رواه أحمد وأبو يعلى وغيرهما وهو حسن (ص / ج / ٤٣٠٠) .

(٢) رواه الحاكم والبيهقي وهو صحيح (الصحيحة رقم ٢٧٢) .

بِمَ يكون البلاء ؟

قال الله تعالى : ﴿ ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات ، وبشر الصابرين ﴾ (البقرة ١٥٥) .

بيَّن الله تعالى أن البلاء يكون : ﴿ بشيء من الخوف ﴾ .

أى خوف العدو والفزع في القتال ، قاله ابن عباس وقال الشافعي : هو خوف الله عز وجل .﴿ والجوع ﴾ يعني المجاعة بالجدب والقحط . في قول ابن عباس .

وقال الشافعي : هو الجوع في شهر رمضان .

﴿ ونقص من الأموال ﴾ بسبب الاشتغال بقتال الكفار .

وقيل : بالجوائح المتلِفة وقال الشافعي: بالزكاة المفروضة .

﴿ والأنفس ﴾ قال ابن عباس : بالقتل والموت في الجهاد.

وقال الشافعي : يعني بالأمراض .

﴿ والثمرات ﴾ قال الشافعي : المرادُ موتُ الأولاد ، ولدُ الرجلِ ثمرةُ قلبه .

وقال ابن عباس : المراد قلة النبات وانقطاع البركات .

قوله تعالى : ﴿ وبشر الصابرين ﴾ ـ

أى بالثواب على الصبر ، والصبرُ أصلُه الحبس ، وثوابُه غير مقدر [1] .

{ ومن أقوالهم المشهورة « وأوضح وضوح الشمس أن الإنسان في هذه الدار غرض للنوائب ، ورَمْيَة للحوادث ، فإن سَلِمَ في نفسه أُصيب في أعضائه وإن عُوفِيَ في أعضائه امتُحن بفقد أحبائه ، وإن قُدِّرت له السلامة من ذلك ، فالهرم من ورائه » } [2] .

---

(١) « الجامع لأحكام القرآن » . الجزء الثاني ص ١٧٣ ، ١٧٤ .

(٢) جنة الرضا (ج ٣ / ٦) .... الناشر .

فضل البلاء :

اعلم يا أخي أن عاقبة البلاء حميدة للمؤمن ، وعائدة عليه بالخير ، والثواب .

عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال :

« ما يصيب المسلم من نَصَبٍ ـ (تعب) ـ ولا وَصَب ـ (وجع) ـ ولا هَمٍّ ولا حَزَنٍ ، ولا أذى ولا غم ، حتى الشوكة يشاكها ، إلا كفَّر الله بها من خطاياه » .

وعنه أيضًا قال : قال رسول الله ﷺ :

« ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في: نفسه ، وولده ، وماله ، حتى يلقى الله تعالى ، وما عليه خطيئة » .

(رواه الترمذي وانظر صحيح الجامع ٥٨١٥) .

وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « ما من مصيبة تصيبُ المسلمَ ، إلا كفَّر الله بها عنه ، حتى الشوكة يشاكها » (متفق عليه) .

وعن عبد الله بن مسعود ، قال : دخلت على رسول الله ﷺ ، وهو يوعك ـ (الوعك . قيل : هو الحمى) .

فقلت : يا رسول الله ، إنك تُوعَكُ وعكًا شديدًا ، قال :

« أَجَلْ إني أوعك كما يُوعَكُ رجلان منكم » .

قلت : ذلك أن لك أجرين ، قال : « أَجَلْ ، ذلك كذلك . ما من مسلـم يصيبه أذًى ، شوكة فما فوقها ، إلا كفَّر الله بها سيئاته ، كما تحط الشجرةُ ورقَها » . متفق عليه .

وعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله يقول : « إذا أخذت كريمَتَىْ عبدي في الدنيا ، لم يكن له جزاء عندى إلا الجنة » رواه الترمذي .

وعن عطاء بن يسار قال :

« إذا مرض العبدُ بعث اللهُ تعالى إليه ملكين ، فقال :

« انظر ماذا يقول لعُوَّادِه ؟ » ـ (أى لزواره) ـ

فإن هو إذا جاءوه حَمَدَ الله ، وأثنى عليه ، رفعا ذلك إلى

الله عز وجل – وهو أعلم – فيقول :

« لعبدي عليَّ إنْ توفيتُه ، أن أُدْخلَه الجنة ، وإنْ أنا شفيته أن أبدل له لحمًا خيرًا من لحمه ، ودمًا خيرًا من دمه ، وأن أُكَفِّر عنه سيئاته » .

(مالك في الموطأ) (الصحيحة ج١ في رقم ٢٧٢ /ص ١٤٦) .

وعن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ ، أنه عاد مريضًا – (أى زاره) – ومعه أبو هريرة ، مِنْ وعكٍ كان به ، فقال رسول الله ﷺ : « أَبْشِرْ ، فإن الله – عز وجل – يقول :

« هى ناري أسلطها على عبدي المؤمن في الدنيا ؛ لتكون حظه من النار في الآخرة » .

(رواه ابن ماجة . صحيح الجامع ٣٢) .

وقال النبي ﷺ :

« إن عِظَم الجزاء مع عِظَم البلاء ، وإن الله تعالى إذا أحبَّ قومًا ابتلاهم ، فمن رضي فله الرضا ، ومن سخط فله

السخط » . (رواه الترمذي وقال : حديث حسن) .

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من يُرِدِ اللهُ به خيراً يُصِبْ منه » .

(البخاري . صحيح الجامع /٦٦١) .

وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « إذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا ، وإذا أراد بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافى به يوم القيامة ». (رواه الترمذى وغيره صحيح الجامع / ٣٠٨) .

{ « وليكن على بالٍ ممن لحقه الابتلاء ، أو أدركه التمحيص أنه على فرض سلامته مما ابتلى به ، ذاهب إلى الهَرَم مرتحل مع الساعات إلى المشيب ، فيخفض ذلك من ابتلائه ، ويعلم أنه لو عوفى من هذا التمحيص ، فإن نذير الشيب من ورائه» } [1].

---

(١) جنة الرضا (ج ٣ / ٥٥) .... الناشر .

الصبر على البلاء

١ - تعريف الصبر :

الصبر في اللغة : الحبس والكف .

والصبر في الشرع :

حَبْس النفسِ عن الجزع والتسخط .

وحبسُ اللسان عن الشكوى .

وحبسُ الجوارح عن التشويش .

وقيل : الصبر الوقوف مع البلاء بحسن الأدب .

وقيل : هو الفناء في البلوى ، بلا ظهور ولا شكوى .

وقيل : تعويد النفس الهجوم على المكاره .

وقيل : المقام مع البلاء بحسن الصحبة، كالمقام مع العافية.

{ قال محمد بن على بن الحسين : الصبر صبران ؛ فصبر عند المصيبة حَسَن جميل ، والصبر عما حرَّم الله أفضل } .

وقال عمرو بن عثمان : هو الثبات مع الله ، وتلقى بلائه بالرحب والدعة .

{ وقد ذكر الله تعالى الصبر في القرآن في نحو من تسعين موضعًا ، وأضــاف إليــه أكثر الخيرات والدرجات وجعلها ثمرة له } [1] .

وهو ثلاثة أنواع :

١ – صبر على طاعة الله .

٢ – وصبر عن معصية الله .

٣ – وصبر على امتحان الله ، [2] ـ وهذا هو موضوع بحثنا ـ

---

(١) مختصر منهاج القاصدين: (ص : ٣٤٢) طبعة دار عمار . الناشر .

(٢) « مدارج السالكين » الجزء الثاني ، ص ١٦٢ – ١٦٥ . باختصار .

٢ - أسباب الصبر على البلاء :

يقول ابن القيم رحمه الله تعالى :

والصبر على البلاء ينشأ من أسباب عديدة :

أحدها: شهود جزائها وثوابها ، [وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم فيه : « ليودّن أهل العافية يوم القيامة ، أن جلودهم قرضت بالمقاريض ، مما يرون من ثواب أهل البلاء »[1]] .

الثاني : شهود تكفيرها للسيئات ومحوها لها .

الثالث : شهود القدر السابق الجاري بها ، وأنها مقدَّرة في أم الكتاب قبل أن تخلق ، فلابد منها ، فَجَزَعُه لا يزيده إلا بلاءً .

{ قال بعض الحكماء : الجزع لا يرد الفائت ، ولكن يُسر الشامت } .

الرابع : شهوده حقَّ الله عليه في تلك البلوى ، وواجبُه فيها الصبرُ بلا خلاف بين الأمة ، أو الصبرُ والرضا على أحد القولين فهو مأمور بأداء حق الله وعبوديته عليه في تلك

(١) رواه الترمذي وغيره وهو حسن (ص . ج : ٥٤٨٤) .... الناشر .

البلوى ، فلابد له منه ، وإلا تضاعفت عليه .

الخامس: شهود تَرَتُّبِها عليه بذنبه، كما قال الله تعالى : ﴿ وما أصابكم من مصيبة فبما كسبتْ أيديكم ﴾ .

فهذا عام في كل مصيبة دقيقة وجليلة ، فشغله شهود هذا السبب بالاستغفار الذي هو أعظم الأسباب في دفع تلك المصيبة ، قال علي بن أبي طالب :

ما نزل بلاءٌ إلا بذنب ، ولا رُفِعَ بلاءٌ إلا بتوبة .

السادس : أن يعلم أن الله قد ارتضاها له واختارها وقسمها ، وأن العبودية تقتضي رضاه بما رَضِيَ له به سيدُه ومولاه .

السابع : أن يعلم أن هذه المصيبة هي دواء نافع ساقه إليه الطبيب العليم بمصلحته الرحيم به ، فليصبر على تجرعه ولا يتقياه بِتَسَخُّطه وشكواه ، فيذهب نفعه باطلاً .

الثامن : أن يعلم أن في عقبى هذا الدواء من الشفاء والعافية والصحة وزوال الألم ما لا تحصل بدونه ، فإذا طالعتْ نفسُه كراهة هذا الدواء ومرارتَه فلينظر إلى عاقبته وحسن تأثيره .

قال الله تعالى : ﴿ وعسى أن تكرهوا شيئًا وهو خير لكم ، وعسى أن تحبوا شيئًا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون ﴾ .

وقال الله تعالى :

﴿ فعسى أن تكرهوا شيئًا ويجعل الله فيه خيرًا كثيرًا ﴾ .

التاسع : أن يعلم أن المصيبة ما جاءت لتهلكه وتقتله ، وإنما جاءت لتمتحن صبره .

العاشر : أن يعلم أن الله يُرَبِّي عبدَه على السراء والضراء ، والنعمة والبلاء ، فيستخرج منه عبوديته في جميع الأحوال ، فإن العبد على الحقيقة مَنْ قام بعبودية الله على اختلاف الأحوال .

فهذه الأسبابُ ونحوُها تُثْمِرُ الصبر على البلاء ، فإن قويت أثمرت الرضا والشكر ، فنسأل الله أن يسترنا بعافيته ، ولا

يفضحنا بابتلائه ، بِمَنِّه وكرمه [1] .

{ ومما يتصبر به العبد ذكره لأعظم المصائب وهو فقده لنبيه ﷺ من بين أظهر الأمة وانقطاع الوحي والإمداد السماوي فظهر الشر وارتد العرب وتحزب المنافقون .

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : إذا أصاب أحدكم مصيبة فليذكر مصيبته بي ، فإنها من أعظم المصائب » .

(رواه الطبراني وغيره وهو صحيح (الصحيحة : ١١٠٦) .

ومن أحسن ما كتب بعضهم لأخيه يعزيه بابنه ويسليه قوله [2].

اصبر لكل ملمة وتجلد　　واعلم بأن المرء غير مخلد

وإذا ذكرت محمداً ومصابه　　فاذكر مصابك بالنبي محمد

(١) « طريق الهجرتين وباب السعادتين » ابن القيم ، ص ٣٩٠ – ٣٩٣ باختصار ، دار الطباعة المحمدية .

(٢) فيض القدير (ج١ / ٢٨٦) .... الناشر .

بل أعظم المصائب هي : قال صلى الله عليه وآله وسلم :

« يا أيها الناس ! أيما أحد من المؤمنين أصيب بمصيبة فليتعز بمصيبته بي ، عن المصيبة التي تصيبه بغيري ، فإن أحدًا من أمتي ، لن يصاب بمصيبة بعدي أشد عليه من مصيبتي » [١] .

« وحقيقٌ من نزلت به مصيبة مِنْ فقد مَنْ يعز عليه أن يتعزى بالمصيبة في النبي ﷺ ، وإذا تأمل ذلك حق التأمل ، فإن مصيبته تخف عليه غاية الخفة ، وإلا فكم بين المصيبة بأكرم الخلق على ربه ، والرحمة المهداة إلى خلقه ، الذي جعله الله للأنام هاديًا ، وإلى داره راعيًا ، وعلى نجاتنا حريصًا ، وبنا رؤوفًا رحيمًا ، وفينا يوم القيامة شفيعًا ، وإلى كافتنا بشيرًا ونذيرًا ، فهدانا الله به إلى الحق ، وأخذ بحجزنا عن النار ، وبين لنا ما أحل الله وما حرم ، وأرشدنا إلى التي هي أقوم وخلّف فينا كتاب الله العزيز ، وقرآنه المبين ، نورًا فارقًا بين الحق والباطل ، شاهدًا بأنه منزل من عند الله ، صادعًا إلى

(١) رواه البيهقي وهو صحيح (ص . ج ٧٨٧٩) .... الناشر .

اليوم بمعجزته العظمى ، فكم بين المصيبة به ﷺ وبين المصيبة بولدٍ أو زوج لعلهما ممن قال الله فيهما ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم ، وأولادكم عدوًا لكم فاحذروهم ﴾ (التغابن / ١٤) . أو والد أو أم أو أخ أو عم ! وإن كانت سبقتهم ما عسى أن تكون ، والمصلحة فيهم ما عسى أن تفرض ، والمحبة لهم ومنهم منتهية إلى الغاية القصوى ، ومتطابقة منهم العلانية والنجوى ! فكم جاءت من أمثال هؤلاء عظائم من الآفات ، وكم انقلبت منهم إلى عكسها صحيح المودات وإلى ذلك أشار أحمد بن محمد « ابن العريف » .

إذا حلـت بساحتك الـرزايا　　فـلا تجزع لها جزع الصبـي

فـإن لكـل حـادثة عـزاءً　　مـا قد كان من فقد النبي[1] }

---

(١) جنة الرضا (ج ٣ / ١٨) .... الناشر .

٤ - فضل الصبر على البلاء:

{ قال الله تعالى :

﴿ وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا : إنا لله وإنا إليه راجعون ، أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة ﴾ (البقرة : ١٥٥ – ١٥٧) .

قال عمر رضي الله عنه ، نِعْم العدلان ، ونعم العلاوة .

وقال سعيد بن المسيب ﴿ أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة ﴾ نعم العدلان . ﴿ وأولئك هم المهتدون﴾ نعم العلاوة (١) .

وقال تعالى :

﴿ ومن يؤمن بالله يهد قلبه ﴾ (التغابن : ١١) .

قال علقمة عن عبد الله : هو الذي أصابته مصيبة ، فرضى وعَرَف أنها من الله (١) . }

---

(١) شرح السنة (ج ٥ ص ٤٤٦) .... الناشر .

عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« إن الله تعالى قال : « إذا ابتليت عبدي بِحَبِيبَتَيْه فصبر ، عوضتهُ منهما الجنة » . البخاري . (يريد بحبيبتيه : عينيه) .

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، مرفوعًا إلى النبي ﷺ قال : « يقول الله عز وجل : « من أذهبت حبيبتيه ، وصَبَر واحتسب لم أرْضَ له ثوابًا إلا الجنة » . قال الترمذي : حديث حسن صحيح (صحيح الجامع / ٨١٤٠) .

وعنه أيضًا ، أن رسول الله ﷺ قال :

« يقول الله تعالى : « مالعبدى المؤمن عندي جزاء ، إذا قبضتُ صَفِيَّه من أهل الدنيا ، ثم احتسبه ، إلا الجنة » .

(رواه البخاري) .

صَفِيه : هو الحبيب المصافي كالولد والأخ ، وكلُّ مَنْ أحبَّه الإنسان .

وعنه ، عن النبي ﷺ قال :

« ما من مسلمين يموت بينهما ثلاثة أولاد ، لم يبلغوا الحِنْثَ ، إلا أدخلها الله بفضل رحمته إياهم ـ الجنة ، قال : يُقال لهم : ادخلوا الجنة ، فيقولون : حتى يدخل آباؤنا ، فيقول : ادخلوا أنتم وآباؤكم » .

النسائي وهو صحيح (ص . ج / ٥٧٨٠) .

وعن أبي أمامة رضي الله تعالى عنه ، عن النبي ﷺ قال: « يقول الله سبحانه : « يا ابن آدم إذا أخذت كريمتيك فصبرت واحتسبت عند الصدمة الأولى ، لم أرْضَ لك ثوابًا إلا الجنة » رواه مسلم وغيره (ص . ج : ٨١٤٣) .

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه ، أن رسول الله ﷺ قال :

« إذا مات ولدُ العبد ، قال الله لملائكته : قبضتُمْ ولَدَ عبدي ؟

فيقولون : نعم ، فيقول : قبضتم ثمرة فؤاده ؟

فيقولون : نعم ، فيقول : ماذا قال عبدي ؟

فيقولون : حمدك واسترجع ، فيقول الله :

ابنوا لعبدي بيتًا في الجنة ، وسَمُّوه بيتَ الحمد » .

(رواه الترمذي وقال : حديث حسن غريب [1]) .

{ والصبر المحمود والمأجور عليه صاحبه هو ما كان عند الصدمة الأولى فور مفاجأة المصيبة وحموتها لأنه إذا طالت الأيام وقع السلو ، ونقص الأجر أو لم يؤجر [2] دل على ذلك حديث المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم : « الصابر : الصابر عند الصدمة الأولى » .

والحديث الآخر « إن الصبر عند الصدمة الأولى » وهما متفق عليهما .

وما أحسن ما قال الشاعر (٣) .

ما أحسن الصبر في مواطنه	الصبر في كل موطن حسـن
حَسْبــك من حسـنه عواقبه	عاقبـة الصـبر ما لـها ثمـن

(١) وهو في الصحيحة رقم ١٤٠٨ وقال العلامة الألباني حسن . الناشر.

(٢) شرح السنة (ج ٥ ص ٤٤٨) الناشر .

(٣) الفرج بعد الشدة (ج ٥ / ٦٣) .... الناشر .

وليعلم العبد أنه على قدر البلاء يُنزل الله الصبر كما قال صلى الله عليه وآله وسلم : « إن المعونة تأتي من الله على قدر المؤنة ، وإن الصبر يأتي من الله على قدر البلاء »[1] .

وقال بعضهم :

« المصيبة للصابر واحدة ، وللجازع اثنتان »[2]. }

---

(١) صحيح رواه البزار وغيره (الصحيحة : ١٦٦٤) .... الناشر .

(٢) العقد الفريد (ج٣ / ٣٨) .... الناشر .

أهل البلاء

قال رسول الله ﷺ :

« أشدُّ الناس بلاءً الأنبياءُ ثم الصالحون ، لقد كان أحدهم يُبتلى بالفقر حتى ما يجد إلا العباءة يجوبها فيلبسها ، ويبتلى بالقمل حتى يقتله ، ولأحَدُهم كان أشدُّ فرحًا بالبلاء ، من أحدكم بالعطاء » .أخرجه ابن ماجة والحاكم وقال : على شرط مسلم وأقره الذهبي (الصحيحة : ١٤٤) .

وعن سعد بن أبي وقاص قال : قلت : يا رسول الله ، أي الناس أشد بلاء ؟ قال :

« أشدُّ الناس بلاءً الأنبياء ، ثم الأمثل فالأمثل ، يُبْتَلى الرجلُ على حسب دينه ، فإن كان في دينه صلْبًا اشتدَّ بلاؤه ، وإن كان في دينه رقة ابتلى على قدر دينه ، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه خطيئة » (*) .

(*) قال الشيخ الألباني – حفظه الله تعالى – في صحيحته عقب هذه الأحاديث ما نصه : « وفي هذه الأحاديث دلالة صريحة على أن =

صحيح رواه الترمذي وابن ماجة وغيرهما (الصحيحة : ١٤٣).

{ قال تعالى : ﴿ وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكان بآياتنا يوقنون ﴾ (السجدة/٢٤) فبين تعالى أنه بالصبر واليقين حصلوا على الإمامة في الدين [1] . }

= المؤمن كلما كان أقوى إيمانًا ، ازداد ابتلاء وامتحانًا ، والعكس بالعكس ، ففيها رد على ضعفاء العقول والأحلام الذين يظنون أن المؤمن إذا أصيب ببلاء كالحبس أو الطرد أو الإقالة من الوظيفة ونحوها أن ذلك دليل على أن المؤمن غير مرضي عند الله تعالى !! وهو ظن باطل فهذا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو أفضل البشر ، كان أشد الناس حتى الأنبياء بلاء ، فالبلاء غالباً دليل خير ، وليس نذير شر » ، كما يدل على ذلك أيضًا حديث « إن عظم الجزاء مع عظم البلاء ، وإن الله إذا أحب قومًا ابتلاهم ، فمن رضي فله الرضا ، ومن سخط فله السخط » رواه الترمذي وهو صحيح . وقال الشيخ « وهذا الحديث يدل على أمر زائد على ما سبق ، وهو أن البلاء إنما يكون خيرًا ، وأن صاحبه يكون محبوبًا عند الله تعالى ، إذا صبر على بلاء الله تعالى ، ورضي بقضاء الله عز وجل » ا . هـ .... ونقله الناشر .

(١) المعاصي وآثارها (ص / ١١٨) .... الناشر .

١ـ بلاء الأنبياء :

١ - إبراهيم عليه السلام :

لقد ابتلى إبراهيم عليه السلام في أكثر من موضع .

أما الأول :

فعندما حطَّم آلهة المشركين ، ودعاهم إلى عبادة الله وحده .

قال تعالى :

﴿ فَرَاغَ إلى آلهتهم فقال ألا تأكلون * مالكم لا تنطقون * فراغ عليهم ضربًا باليمين * فأقبلوا إليه يزفُّون * قال أتعبدون ما تنحتون * والله خلقكم وما تعملون * قالوا ابنوا له بنيانًا فألقوه في الجحيم * فأرادوا به كيدًا فجعلناهم الأسفلين ﴾ .

(الصافات ٩١ - ٨٩) .

وقال تعالى :

﴿ ولقد آتينا إبراهيم رُشْدَه من قبل وكنَّا به عالمين*

إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون .... ﴾ .

إلى قوله :

﴿ قال أفتعبدون من دون الله مالا ينفعكم شيئًا ولا يضركم أُفٍّ لكم ولِمَا تعبدون من دون الله . أفلا تعقلون، قالوا حَرِّقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين . قلنا يا نار كوني بردًا وسلامًا على إبراهيم ، وأرادوا به كيدًا فجعلناهم الأخسرين ﴾ (الأنبياء آية ٥١ وما بعدها) .

قال ابن كثير رحمه الله تعالى :

لما دُحِضَتْ حجتُهم وبانَ عجـزُهم وظهر الحقُّ واندفع الباطل ، عدلوا إلى استعمال جاه ملكهم فقالوا :

حرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين ، فجمعوا حطبًا كثيرًا جدًا .

قال السدى : حتى إن كانت المرأة تمرض فتنذر إن عوفيت

أن تحمل حطبًا لحريق إبراهيم ، ثم جعلوه في جوبة من الأرض وأضرموها نارًا فكان لها شرر عظيم ولهبٌ مرتفع لم توقد نارًا (*) قط مثلُها ، وجعلوا إبراهيم عليه السلام في كفة المنجنيق ...

فلما ألقوه قال : حسبي الله ونعم الوكيل [1] .

والموضع الثاني :

عندما أُمِرَ بذبْحِ ولدِه .

قال تعالى :

﴿ وقال إني ذاهب إلى ربي سيهدين ، رَبِّ هَبْ لي من الصالحين ، فبشرناه بغلام حليم ، فلما بلغ معه السعي قال يا بني إني أرى في المنام أنى أذبحك . فانظر ماذا ترى ، قال يا أبت افعل ما تُؤْمَرُ ،

(*) « نارًا » تمييز ، و« مثلُها » نائب فاعل .... الناشر .

(1) « تفسير القرآن العظيم » ابن كثير ، الجزء الثالث ، ص ١٨٣ ، ١٨٤ عيسى البابي الحلبي .

ستجدني إن شاء الله من الصابرين * فلما أسلما وَتَلَّهُ للجبين ، وناديناه أن يا إبراهيم . قد صَدَّقت الرؤيا . إنا كذلك نجزي المحسنين * إن هذا لهو البلاء المبين ، وفديناه بذبح عظيم ﴾ (الصافات ٩٩ - ١٠٧) .

قال ابن كثير رحمه الله تعالى :

وهذا اختبار من الله عز وجل لخليله في أن يذبح هذا الولد العزيز الذي جاءه على كبر ، وقد طعن في السن ، بعد ما أُمِر بأن يسكنه هو وأمه في بلاد قَفْرٍ ، وواد ليس به حسيس ولا أنيس ، ولا زرع ولا ضرع ، فامتثل أمر الله في ذلك ، وتركهما هناك ثقة بالله وتوكلاً عليه ، فجعل الله لهما فرجًا ومخرجًا ، ورزقهما من حيث لا يحتسبان .

ثم لما أُمِرَ بعد هذا كله بذبح ولده هذا الذي قد أفرده عن أمر ربه وهو بكره ووحيده الذي ليس له غيره ، أجابَ ربه وامتثل أمره ، وسارع إلى طاعته (١).

(١) « قصص الأنبياء » ابن كثير ، تحقيق مصطفى عبد الواحد ، الجزء الأول ص ٢١١ ، دار الكتب الحديثة .

ابْتُلِيَ إبراهيمُ عليه السلام فصبر ، وذلك لما ألقى في النار.

وابتلى إبراهيم عليه السلام فوثق بالله ، وذلك لما ترك امرأته وولده في واد غير ذي زرع ولا ضرع .

وابتلى إبراهيم عليه السلام فامتثل ، وذلك لما أُمر بذبح ولده.

{ ولا بلاء أعظم من بلاء يشهد الله تعالى أنه بلاء مبين وهو دليل على عِظَم ثواب إبراهيم صلى الله عليه وعلى نبينا وسلم ولمَّا صبر وسلَّم وأذعن للتكليف ، فدى الله الابن بذبح عظيم ، وجازى الأب بابن آخر على صبره ورضاه بذبح ابنه الذي لم يكن له غيره [1] } .

﴿ سلامٌ على إبراهيم ﴾ [الصافات : ١٠٩] .

---

(١) الفرج بعد الشدة (ج ١ / ٦٨) .... الناشر .

٢ - يعقوب ويوسف عليهما السلام:

{ فقد أفرد الله بذكر شأنهما ، وعظيم بلواهما ، وامتحانهما، سورة محكمة بين فيها كيف حُسِدَ يوسف عليه السلام من إخوته على حب أبيه له ؟ } .

فما كان منهم إلا أن أجمعوا على إبعاده عن أبيه .

قال تعالى :

﴿ لقد كان في يوسف وإخوته آياتٌ للسائلين ، إذ قالوا لَيُوسُفُ وأخوه أحبُّ إلى أبينا منا ونحن عصبة إن أبانا لفي ضلال مبين ، اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضًا يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قومًا صالحين ، قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف وألقوه في غيابة الجُبِّ يلتقطه بعض السيارة إن كنتم فاعلين ﴾ (يوسف ٧ - ١٠) .

وقال تعالى :

﴿ فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجُبِّ وأوحينا إليه لتنبئنهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون ﴾ (يوسف / ١٥) .

قال ابن كثير رحمه الله تعالى :

يقول تعالى فلما ذهب به إخوتُه من عند أبيه بعد مراجعتهم له في ذلك ﴿ وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجب ﴾ هذا فيه تعظيم لما فعلوه أنهم اتفقوا كلهم على إلقائه في أسفل ذلك الجب وقد أخذوه من عند أبيه فيما يُظهرونه له إكرامًا وبسطًا وشرحًا لصدره وإدخالاً للسرور عليه .

فيقال : إن يعقوب عليه السلام لما بعثه معهم ضمه إليه وقَبَّله ودعا له ، فذكر السدى وغيره أنه لم يكن بين إكرامهم له وبين إظهار الأذى له إلا أن غابوا عن عين أبيه وتواروا عنه ثم شرعوا يؤذونه بالقول من شتم ونحوه والفعل من ضرب ونحوه ، ثم جاءوا به إلى ذلك الجب الذي اتفقوا على رَمْيِهِ فيه فربطوه بحبل ودلوه فيه فكان إذا لجأ إلى واحد منهم لطمه وشتمه ، وإذا تشبَّث بحافات البئر ضربوا على يديه ثم قطعوا به الحبل من نصف المسافة فسقط في الماء فغمره فصعد إلى صخرة تكون في وسطه يقال لها الراغوفة فقام فوقها [1] .

(١) « تفسير القرآن العظيم » الجزء الثاني ، ص ٤٧١ .

فلما ألقوه فيه أوحى الله إليه :

أنه لابد لك من فرج مخرج من هذه الشدة التي أنت فيها ، ولتخبرن إخوتك بصنيعهم هذا ، في حال أنت فيها عزيز »[1] .

{ واستُعْبِدَ ، فألقى الله تعالى في قلب من صار إليه إكرامه ، واتخاذه ولداً } .

وابتلى الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم عليهم السلام في شبابه بامرأة العزيز :

﴿ وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلّقت الأبواب وقالت هيت لك ﴾ .

ولكنه عَف نفسه ، وصبر عن معصية الله تعالى و ﴿ قال معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي إنه لا يفلح الظالمون ﴾

وآثر دخوله السجن على ذلك :

---

(١) « قصص الأنبياء » ابن كثير ، الجزء الأول ، ص ٣١٤ .

﴿ قال رب السجن أحب إليّ مما يدعونني إليه وإلاّ تَصْرِفْ عني كيدهن أَصْبُ إليهن وأكن من الجاهلين ، فاستجاب له ربُّه فصرف عنه كيدهن إنه هو السميع العليم ﴾ .

وهكذا : ألقى يوسف عليه السلام في الجب ، وبيع بثمن بخس ، ولبث في السجن بضع سنين .

{ وما لحق يعقوب من العمى لفرط البكاء ، وكيف أنفذ يوسف إلى أبيه قميصه ، فرده الله به بصيراً وجمع بينهم برحمته سبحانه } .

٣ - أيوب عليه السلام :

قال تعالى :

﴿ وأيوب إذ نادى ربه أنى مسني الضر وأنت أرحم الراحمين ، فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين ﴾ (الأنبياء ٨٣ ، ٨٤) .

قال ابن كثير رحمه الله تعالى :

يَذْكُر تعالى عن أيوب عليه السلام ما كان أصابه من البلاء في ماله وولده وجسده ، وذلك أنه كان له من الدواب والأنعام والحرث شيء كثير وأولاد كثيرة ومنازل مُرْضية ، فابتلى في ذلك كله وذهب عن آخره ، ثم ابتلى في جسده يقال بالجذام في سائر بدنه ولم يبق منه سليم سوى قلبه ولسانه يذكر بهما الله عز وجل حتى عافه الجليس وأفرد في ناحية من البلد ولم يبق أحد من الناس يحنو عليه سوى زوجته كانت تقوم بأمره ، ويقال إنها احتاجت فصارت تخدم الناس من أجله ، وقد قال

النبي ﷺ : « أشدُّ الناسِ بلاءً الأنبياءُ ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل » .

وفي الحديث الآخر : « يبتلى الرجل على قدر دينه فإن كان في دينه صلابة زِيدَ له في بلائه » (١) .

وقد كان نبي الله أيوب عليه السلام غاية في الصبر وبه يضرب المثل في ذلك . وقال يزيد بن ميسرة : لما ابتلى الله أيوب عليه السلام بذهاب الأهل والمال والولد ولم يبق شيء له أحسن الذكر ثم قال : أحمدك رب الأرباب الذي أحسنت إلى أعطيتني المال والولد فلم يبق من قلبي شعبةٌ إلا قد دخله ذلك ، فأخذت ذلك كلَّه مني وفرَّغتَ قلبي ، فليس يحول بيني وبينك شيءٌ ، لو يعلم عدوى إبليسُ بالذي صنعتَ حسدني .

قال : فلقى إبليس من ذلك منكرًا (٢) .

---

(١) انظر الصحيحة (رقم ١٤٣) .

(٢) « تفسير القرآن العظيم » الجزء الثالث ص ١٨٨ .

٤ - سليمان عليه السلام :

كان بلاء سليمان عليه السلام من نوع اختبار الشكر .

قال تعالى :

﴿ ولقد آتينا داود وسليمان علماً ، وقالا الحمد لله الذي فَضَّلنا على كثير من عباده المؤمنين ، وورث سليمانُ داود ، وقال يا أيها الناس عُلِّمنَا منطقَ الطير وأوتينا من كل شيء ، إن هذا لهو الفضل المبين ، وحُشر لسليمان جنودُه من الجنِّ والإنس والطير فهم يوزعون ﴾ (النمل ١٥ – ١٧) .

وقال تعالى عن سليمان :

﴿ قال هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أَمْ أكفر ، ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ، ومن كفر فإن ربي غني كريم ﴾ (النمل ٤٠) .

٥ - يونس عليه السلام :

قال تعالى :

﴿ وإن يونس لمن المرسلين ، إذ أَبَقَ إلى الفلك المشحون ، فسَاهَم فكان من المدحضين ، فالتقمه الحوت وهو مُلِيمٌ ، فلولا أنه كان من المسبحين لَلَبِثَ في بطنه إلى يوم يبعثون ، فنبذناه بالعَرَاءِ وهو سقيم ، وأنبتنا عليه شجرة من يقطين، وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون فآمنوا فمتعناهم إلى حين﴾ (الصافات ١٣٩ - ١٤٨) .

وقال تعالى :

﴿ وذا النون إذ ذهب مغاضباً فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنتُ من الظالمين ، فاستجبنا له ونجيناه من الغمِّ وكذلك نُنْجِي المؤمنين ﴾ (الأنبياء: ٨٧ ، ٨٨) .

قال ابن كثير رحمه الله تعالى :

هذه القصة مذكورة ههنا وفي سورة الصافات ، وفي سورة (ن) ، وذلك أن يونس بن متى عليه السلام بعثه الله إلى أهل قرية نينوى وهي قرية من أرض الموصل فدعاهم إلى الله تعالى فأبَوْا عليه وتمادوا على كفرهم فخرج من بين أظهرهم مغاضباً لهم ووعدهم بالعذاب بعد ثلاث فلما تحققوا منه ذلك وعلموا أن النبي لا يكذب خرجوا إلى الصحراء بأطفالهم وأنعامهم ومواشيهم وفرقوا بين الأمهات وأولادها ، ثم تضرعوا إلى الله عز وجل وجأروا إليه ورغت الإبل وفصلانها ، وخارت البقر وأولادها ، وثغت الغنم وسخالها ، فرفع الله عنهم العذاب ، قال الله تعالى : ﴿ فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين ﴾ .

وأما يونس عليه السلام فإنه ذهب فركب مع قوم في سفينة فلججت بهم وخافوا أن يغرقوا فاقترعوا على رجل يلقونه من بينهم يتخففون منه فوقعت القرعة على يونس فأبوا أن يلقوه ، ثم أعادوها فوقعت عليه أيضاً فأبوا ، ثم أعادوها فوقعت

عليه أيضًا ، قال الله تعالى :﴿ فساهم فكان من المدحضين ﴾ .

أى وقعت عليه القرعة فقام يونس عليه السلام ، وتجرد من ثيابه ثم ألقى نفسه في البحر وقد أرسل الله سبحانه من البحر الأخضر ـ فيما قاله ابن مسعود ـ حوتًا يشق البحار حتى جاء فالتقم يونس حين ألقى نفسه من السفينة فأوحى الله إلى ذلك الحوت أن لا تأكل له لحمًا ، ولا تهشم له عظمًا ؛ فإن يونس ليس لك رزقًا ، وإنما بطنك تكون له سجنًا ...

وقال عوف الأعرابي :

لما صار يونس في بطن الحوت ظن أنه قد مات ثم حرك رجليه فلما تحركت سجد مكانه ثم نادى : يا رب اتخذت لك مسجدًا في موضع لم يبلغه أحد من الناس .

وقال سعيد بن أبي الحسن البصري :

مكث في بطن الحوت أربعين يومًا (١) .

(١) « تفسير القرآن العظيم » ١٩١ ، ١٩٢ ، الثالث .

قال تعالى : ﴿ فاستجبنا له ونجيناه من الغم ﴾ .

أى أخرجناه من بطن الحوت وتلك الظلمات .

وقال تعالى : ﴿ وكذلك ننجي المؤمنين ﴾ .

أى إذا كانوا في الشدائد ودَعَوْنَا مُنيبين إلينا ولا سيما إذا دَعَوْا بهذا الدعاء في حال البلاء [١] .

{تذكرة :

قال رسول الله ﷺ :

« دعوة ذى النون إذ دعا بها وهو في بطن الحوت : لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ـ لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط ، إلا استجاب الله له » [٢] .}

---

(١) المصدر السابق .

(٢) رواه الترمذى والحاكم وغيرهما وهو صحيح (الكلم الطيب) الناشر .

٦ - محمد صلى الله عليه و آله وسلم :

ولقد ابتلى الرسول وأوذي كثيرًا في سبيل دعوته إلى الله تعالى :

* فقد حدث في يوم أن تجرأ أبو جهل على سَبِّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو سائر في طريقه ، ونثر على رأسه التراب .

* وقد حوصر صلى الله عليه وآله وسلم هو ومن أسلم معه في شعب أبي طالب ما يقرب من ثلاث سنوات .

* وقد ابتلى وأوذى في الطائف عندما دعاهم إلى الله تعالى . فسخروا منه واستهزأوا به ، وقالوا له :

أما وجد الله أحدًا يرسله سواك .

وأغْرَوْا به بعض السفهاء والصبيان يقذفونه بالحجارة على عقبيه حتى أدموها .

* وابتلى صلى الله عليه وآله وسلم في أصحابه ، وهو في

ذلك كله صابرًا متجلدًا ، سائرًا في طريقه الذي قد اصطفى له ، صلى الله عليه وآله وسلم .

{* وكسرت رباعيته صلى الله عليه وآله وسلم يوم أحد ، وشُجَّ رأسه الكريمة وجاءه جبريل عليه السلام . وهو جالس حزين ، قد خضب بالدماء . قد ضربه بعض أهل مكة فقال ما لك ؟ فقال : « فعل بي هؤلاء ، وفعلوا » قال : أتحب أن أريك آية ؟ قال : نعم أرني » فنظر إلى شجرة من وراء الوادي قال : ادع تلك الشجرة فدعاها فجاءت تمشي حتى قامت بين يديه ، قال : قل لها فلترجع . فقال لها فرجعت ، حتى عادت إلى مكانها ، فقال رسول الله ﷺ : « حسبي » [1] فتأمل وأمعن النظر أيها المسلم فلو أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم « ملك الجبال » في أن يُطْبِقَ عليهم الأخشبين ؟ لكان له ما يريد ، ولكنه صبر وتحمَّل لأجل أمته رحمة منه صلى الله عليه وآله وسلم وقال لملك الجبال « بل أرجو أن يُخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا شريك له » [2] . }

(١) صحيح سنن ابن ماجة رقم (٣٢٥٤) .... الناشر .

(٢) رواه البخاري ومسلم (مختصر مسلم / ١١٦٥) .... الناشر .

ب - بلاء الصحابة

عموم الابتلاء :

[لقد نبه المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم أصحابه أنهم سيبتلون :

فعن حذيفة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « أحصوا لي كل من تَلَفَّظ بالإسلام » قلنا يا رسول الله ! أتخاف علينا ، ونحن ما بين الستمائة إلى السبعمائة ؟ فقال ﷺ : « إنكم لا تدرون لعلكم أن تبتلوا » .

قال حذيفة : فابتلينا ، حتى جعل الرجل منا ما يصلي إلا سرًا (*) . رضي الله عنهم جميعًا ، قد نجوا من هذه الابتلاءات بصبرهم وجلدهم . وقد صبَّرهم الله ورضي عنهم .

وإليك أخي المسلم نبذة عن ابتلاء بعضهم فرادى حتى تتأسى وتعلم الطريق] .

(*) أخرجه مسلم وابن ماجة وغيرهما واللفظ لابن ماجة (الصحيحة رقم ٢٤٦) .... الناشر .

١ - أبو بكر الصديق :

عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت :

لما اجتمع أصحاب النبي ﷺ وكانوا ثمانية وثلاثين رجلاً ألح أبو بكر على رسول الله ﷺ في الظهور ، فقال : «يا أبا بكر إنا قليل» فلم يزل أبو بكر يلح حتى ظهر رسول الله ﷺ ، وتفرق المسلمون في نواحي المسجد كل رجل في عشيرته ، وقام أبو بكر في الناس خطيبًا ، ورسول الله ﷺ جالس ، فكان أول خطيب دعا إلى الله وإلى رسول الله ﷺ وثار المشركون على أبي بكر وعلى المسلمين فَضُرِبوا في نواحي المسجد ضربًا شديدًا ، ووطىء أبو بكر وضرب ضربًا شديدًا ودنا منه الفاسق عتبة بن ربيعة فجعل يضربه بنعلين مخصوفتين ويحرفهما لوجهه ، ونزا - (أي وثب) على بطن أبي بكر حتى ما يعرف وجهه من أنفه .

وجاء بنو تيم يتعادون فأجلت المشركين عن أبي بكر ، وحملت بنو تيم أبا بكر في ثوب حتى أدخلوه منزله ، ولا يشكون في موته ثم رجعت بنو تيم فدخلوا المسجد وقالوا : والله لئن

مات أبو بكر لنقتلن عتبة بن ربيعة .

فرجعوا إلى أبي بكر ، فجعل أبو قحافة وبنو تيم يكلمون أبا بكر حتى أجاب ، فتكلم آخر النهار ، فقال :

ما فعل رسول الله [1] ؟ { وتأمل هذا التفاني في الحب لرسول الله ﷺ ، وتحمل الابتلاء مهما كان ، ولا يكون أكثر من أن يكون الإنسان على مشارف الهلاك ، ثم فور إفاقته لا يكون همه إلا أن يسأل : ما فعل رسول الله ﷺ ؟ وليس ذلك فقط ، فلما ردت عليه أم جميل بأنه ﷺ سالم صالح رد قائلاً : فإن لله عليَّ ألا أذوق طعامًا ، وأشرب شرابًا أو آتى رسول الله ﷺ ، فخرج رضي الله عنه يتكئ عليها وعلى أمه حتى أدخلتاه ، فَرَقّ له رسول الله ﷺ رقة شديدة ودعا لأمه ، ودعاها إلى الله فأسلمت [2] . رضى الله عنهم أجمعين . }

---

(١) «حياة الصحابة» محمد يوسف الكاندهلوى ، الجزء الأول ص ٢٧٣ ، ٢٧٤ . دار النصر للطباعة .

(٢) السيرة النبوية لأبى الحسن الندوى (ص ١١٠) .... الناشر .

٢ - آل ياسر :

سمع أبو جهل المخزومي بإسلام آل ياسر ، فكاد يُجَنُّ جنونه ، وأخذ يدور على حلقات قريش في الكعبة ، ويقول لهم : عجبًا عجبًا . خَرَجَتْ مِنْ ملتنا موالينا ، ألم تسمعوا يا معشر قريش بإسلام ياسر وعمار ، لقد صار لهم دين ولنا دين ، ذَلَّت قريشٌ إن لم تُنقِّهم العذابَ الأليم .

ثم غدا أبو جهل وسفهاء قومه على دار آل ياسر ، فحرقوها بالنار وضربوها وقبضوا على عمار وولده وأمه ، ووضعوا القيود في أيديهم وأرجلهم ، وأخذوا يضربونهم بالسياط حتى ألهبوا ظهورهم وجنوبهم ، ثم حبسوهم في مكان مظلم لا ينفذ إليه شعاع من النور .

وعندما اشتد الحر ، واشتعلت رمال الصحراء أخرجوهم إليها مقيدين بالسلاسل ، وأخذوا ينخسونهم بالخناجر ليحملوهم على الجري بقيودهم حُفاة عُراة ، وهم يتساقطون فوق الرمال الملتهبة واحدًا بعد واحد ، فيتضاحك منهم المشركون ساخرين .

وأغرى الكفار بهم صبيانهم يعبثون بهم ، يجنبون ياسراً من لحيته ، ويشدون سُمية من شعر رأسها ، ويقذفون عماراً بالأحجار ، ويقولون لهم : هذا ما صنعتم بأنفسكم ؛ لأنكم كفرتم بآلهتنا ، واتبعتم دين محمد .

أما آل ياسر فصبروا على هذا البلاء صبراً جميلاً ، وتوجهوا بقلوبهم إلى الله الذي خلقهم ، وأسلموا أجسادهم لهؤلاء الجبابرة يصنعون بها ما شاءوا .

وظن الكافر أن عذابه هذا لابد أن يُخرجهم من دينهم ، غير أنهم خيبوا ظنه واستمسكوا بالدين الحق .

وكان رسول الله ﷺ يقول لهم :

«صبراً آل ياسر وأبشروا فإن موعدكم الجنة »[1] .

فزاد هذا من إيمانهم وتمسكهم بالدين الحق .

وزاد غضب أبو جهل ، وأقسم أنه سيضاعف لهم العذاب حتى يخرجهم من دينهم راضين أو كارهين .

---

(١) حديث حسن صحيح أفاده العلامة الألباني ، ورواه ابن إسحق والحاكم وغيرهما (فقه السيرة ص ١٠٧) .... الناشر .

واقترب من سمية وقال لها : إنك لا تزالين هكذا حتى تكفري بدين محمد وتعودي إلينا .

فقالت سمية غاضبة : تعسًا لك أيها الكافر ، وتعسًا لآلهتك التي لا ترى ولا تسمع ، الموتُ أحب إليَّ من أن أراك يا عدو الله ، ربنا الله ومحمد نبينا .

فجن جنون الكافر من كلامها ، وطَعَنها بحربته طعنةً قضت عليها ، وكانت سميةُ أولَ شهيدةٍ في الإسلام .

٣ - بلال بن رباح :

كان كفار قريش يخرجون إلى الصحراء ليشاهدوا آل ياسر كيف يعذبهم أبو جهل . فإذا ما قضوا عندهم ساعة انتقلوا إلى حلقة أخرى من حلقات التعذيب ، كان ضحيتَها شابٌّ أسودُ اللونِ ، نحيف الجسم هو « بلال بن رباح » .

وكان القائم على تعذيبه « أمية بن خلف الجُمحى » وكما كان أبو جهل قاسيًا غليظًا في تعذيب آل ياسر ، كان أمية عنيفًا في قسوته وتعذيبه لبلال بن رباح .

كان أمية يخرج به إلى الصحراء في أشد ساعات النهار حرًا ، فيعرى جسده ويطرحه على ظهره فوق الرمال الحارة التي لو وضع عليها قطعة لحم لنضجت ، ثم يُهيل الرمل على جوانبه ، ويأتى بالصخرة العظيمة ويضعها على صدره ، ويقول له : ستبقى هكذا حتى تكفر بمحمد وتعود إلى ملتنا . فيقول بلال : أحدٌ أحد . (أى أعبد الله الأحد) .

فيزداد غيظ الكافر ويأتى بحبل من الليف ، ويربطه في

عنق بلال ويتركه للصبيان يسحبونه منه فوق الرمال الملتهبة ، ويجرون به هنا وهناك ، والحبل يقطع في عنقه حتى يصطبغ بالدم ، وبلال لا يَفْتَرُ عن قوله : أحدٌ أحد .

٤ - خباب بن الأرت :

وخباب هذا عربي من بني سعد من تميم ، اختطف من أهله وهو غلام ، وبيع في مكة فاشترته أم أنمار ، وهي امرأة من خزاعة ، كانت تشتغل خاتنة في مكة .

ولما كبر الغلام صار حداداً ، فصنع السلاح ودروع القتال ، ثم سمع بالدين الجديد فسارع إليه فيمن سارع من الموالي ، وأسلم على يَدَيْ رسول الله ﷺ .

وسمعت قريش بإسلامه ، وصنعت به ما صنعت بأمثاله ، وساعدت على ذلك سيدته أم أنمار ، فكانت تربط خباباً في عمود من أعمدة البيت ، وتقوم إلى الكور فتشعل فيه النيران ، وتضع به الحديد حتى يحمر ، ثم تكشف ظهر خباب ، وتكويه

مرة بعد مرة ، وترسم عليه بالنار ما شاءت من الأشكال ، وتقول له : ستظل هكذا حتى تعود إلى ملتنا .

فإذا اشتد العذاب عليه سقط على الأرض لا يستطيع حراكًا فتنتظر عليه مولاته حتى يفيق ، ثم تأخذه بالعذاب مرة بعد مرة .

جـ- بلاء العلماء والصالحين :

ولقد ابتلى من العلماء والصالحين الكثير والكثير .

ونحن نذكر منهم على سبيل المثال :

١ - أحمد بن حنبل :

وهو إمام أهل السنة ، وصاحب المسند وصاحب مذهب الحنابلة ، ولقد ابتلى الإمام أحمد رحمه الله تعالى ابتلاءً يعرف بـ « المحنة » .

فقد حدث في خلافة المأمون أن تكلم بعض الناس عن خلق القرآن ، وقد أيدهم في ذلك المأمون ، ولأن هذا القول كفر بواح فقد تصدى الإمام أحمد لهذا ، وبيَّن بأن القرآن الكريم كلام الله تعالى ليس بمخلوق ، وناظرهم في ذلك .

إلا أنه سُجن وعُذب ، وضُرب بالسياط أمام الكثير من الناس ، ولكنه لم يتزعزع عن اعتقاده بأن القرآن الكريم كلام الله غير مخلوق ، فما كان منهم إلا أنهم زادوه تعذيبًا وضربًا ، وما كان من الله تعالى إلا أنْ ثبته على الحق .

وقد قال على بن المديني في ذلك :

أيد الله هذا الدين برجلين لا ثالث لهما :

أبو بكر الصديق يوم الردة .

وأحمد بن حنبل يوم المحنة [1] .

٣ - ابن تيمية :

كان شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى كثيرًا ما يتصدى لأصحاب البدع في زمانه ويناظرهم ويكشف زيفهم ، وكثيرًا ما كان يناظر المتصوفة ، ويكشف فساد ما هم عليه .

وكما أن هناك علماء آخرة فقد كان هناك علماء دنيا ، فكانوا يوشون به عند السلطان ، ويوقعون به .

وامتحن شيخ الإسلام وابتلى وسُجن في سجن دمشق ، وسجن مصر ، وعزل عن تلاميذه وأحبابه ، وسُجن مع تلميذه ابن القيم ، ثم توفي في السجن ، وأفرجوا عن تلميذه .

---

(١) « طبقات الحنابلة » ١ / ١٣ أنصار السنة المحمدية .

ورأينا أن نختم هذه الرسالة بهذه الفصلة المفيدة

فوائد البلوى والمحن (*)

عدد سلطان العلماء عِز الدين بن عبد السلام ـ رحمه الله تعالى ـ للمصائب والرزايا والمحن والبلايا ، جملة فوائد ، أوصلها إلى نحو سبع عشرة فائدة تشتمل من قصد التسلية على مالا إشكال فيه ، وجعل ـ رحمه الله ـ منها :

١ – معرفة عز الربوبية وقهرها .

٢ – معرفة ذل العبودية وكَسْرِها .

٣ – حسن التضرع وزوال قسوة القلب .

٤ – الدعاء والإخلاص فيه والانكسار لله .

٥ – الحِلْم عمن صدرت عنه المصيبة .

(*) نقلنا هذه الفوائد من كتاب « جنة الرضا في التسليم لما قدر الله وقضى » لمحمد بن عاصم الغرناطي » .... الناشر .

٦ – العفو عن جانيها .

٧ – الفرح بها لأجل فوائدها .

٨ – الشكر عليها لما تضمنت من الفوائد .

٩ – تمحيصها للذنوب والخطايا .

١٠ – رحمة أهل البلايا .

١١ – مساعدة أهل البلوى .

١٢ – معرفة قدر العافية والشكر عليها .

١٣ – نيل ثواب الآخرة على اختلاف مراتب البلاء .

١٤ – نيل الفوائد الخفية .

١٥ ، ١٦ – منع النفس من الأشَرِ ، والبطر والفخر والخيلاء والتكبر والتجبر .

١٧ – نيل الرضا الذي هو أفضل من الجنة وما فيها لقوله عز وجل ﴿ورضوان من الله أكبر﴾ .

الفهرست